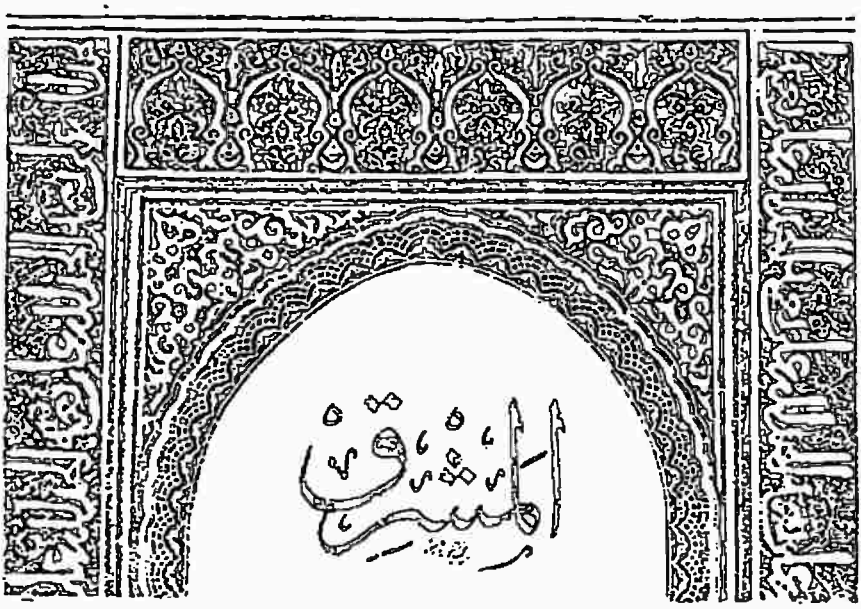

نيسان ١٩٣١

أمالي اللغة : ٧

اصل كلمة "الداوية"

بقلم حضرة الاب ا. س. مرجي الدومنيكي

يتصور بعض المتهوّرين ، من ابناء اللغة العربية ، ان تعليل اصل الكلم من الامور الهيّنة ، يكفي للقيام به ارخاء العنان للمخيلة الجامحة ، فتهيم على وجهها في فيافي الاوهام ، فتعود ظانّة الفوز بالمرام . على ان الحقيقة خلاف ما يتوهمون ، لان هذا الباب من اضيق الابواب مدخلاً ، والسبيل اليه من اوعر السبل مسلكاً . ومن عانى مشاقه ، اقرّ بذلك عارفاً صدقه . .

قبل جملة اعوام ، كان قد سألني احد الآباء الاساتذة الفرنسيين ، في معهدنا الكتابي الاثري ، عن اصل كلمة « الداوية » المقترن بها هذا المقال . فلم اتمكن من الاجابة حينئذٍ ، لاني لم اكن قد بحثت عنها . وجرى عرضاً ان

في تلك الايام كان احمد زكي باشا المصري يتردد الى خزانة كتبنا ، فقلت في نفسي : « دونك البحر الجمّ ، والعلامة الاعظم ، فعنده تجد ضالتك ، ومنه تنال بغيتك . » بيد اني ما طرحت عليه السؤال الّا وتردّد ، فتلعثم ، فباقرّ بجهله ، فانسلّ . فعزمت منذئذٍ ان اقتضي المسألة بذاتي ، اثناء مطالعاتي .

ان قارئ تواريخ الحروب الصليبية او « الصليبيات » باللغة العربية ، كثيرًا ما يصادف هذه اللفظة « داوية » بجانب كلمة اخرى وهي « اسپتالية » ، ومن القرائن ، والمقارنة بالتواريخ المدوّنة في اللغات الفرنجية ، يتوصّل الى ان يعرف ان « الاسپتالية او الاسپتارية » تطلق على جمعية من الرهبان أنشئت في اوائل المملكة الفرنجية ، في الربوع الفلسطينية ، لضيافة الغرباء ؛ وان لفظة « داوية » تطلق على الرهبنة الاخرى العسكرية التي كانت الغاية منها حماية الزوّار ، والدفاع عن المملكة المسيحية . وقد كان تأسيسها على يد الفارس هوغ دي پاين (Hugues de Payens) من اشراف شمپانية ، في فرنسة ، ورفاقه الفرسان الثانية ، وذلك في القدس ، سنة ١١١٨ ، في عهد الملك بقدوين الثاني ، الذي وهبهم محلًا لسكناهم ، قرب موقع هيكل سليمان ، ومنه دُعوا بالفرنجية : *Chevaliers du temple* او *Templiers* . وفي اثناء مجمع تروا (Troyes) من مدن فرنسة ، المنعقد سنة ١١٢٨ ، وضع لهم قانون ، بعناية او نظارة القديس برنردوس ، اثبته البابا انوريوس الثاني ، اجابةً الى طلب اسطيفانوس بطريرك القدس [1]

فاسم الرهبنة الاولى بالفرنجية *Hospitaliers* . واسم الثانية *Templiers* . والمؤرخون المسلمون دعوا الاولين « اسپتالية او اسپتارية » والاخرين « داوية » . والواضح ان « اسپتالية » تعريب *Hospitaliers* . فهل يا ترى « داوية » تعريب *Templiers* ؟ هذا ما ترهمته احدى المخيّلات الطائفة في الفضاء ، ودونك ما

---

١) في خصوص منشأ الرهبان الهيكليين او الداريّة ، وتاريخهم ، راجع المؤلفات الآتية : Guillaume de Tyr, *lib. XII c. 7.* — *(Dans : Historiens des Croisades Occidentaux II)* — Jacques de Vitry, *l. I, c. 65.* — Michaud, *Hist. des croisades. T. II, pp. 98, 585 ss.*

نزلت به من طبقات الهواء:

« قد شبّه الاقدمون ادعية الرهبان وصلواتهم بدوي النحل . فاذا جاز لنا ان نرى « الداوية » من الالفاظ العربية ، قلنا انهم سمّوا كذلك لانهم كانوا يصلّون جميعاً معاً ، فيحصل من دعائهم هذا دوي (!!!) فسموا بالداوية . (بخ بخ)

« اما الذي عندنا فالداوية تصحيف « التامپلية » الفرنسية لا غير (سوف نرى عند المحك) . . . وكان عندنا (؟ ؟) نسخة تامة من كتاب الروضتين يذكر « الداوية » تارة باسم التاوية ، واخرى بصورة التابية ، ومرارًا عديدة : التاملية ، وبعض الاحيان التامية [1] ومن اختلاف هذه الروايات في كل صفحة بصورة من الصور يرى ان النساخ لم يفهموا معناها لغرابتها او لعجمتها . ولا جرم ان الكلمة اعجمية ، وانها من الفرنسية . » [2]

اما انا فيظهر لي ان هذا الكلام احرى به ان يكون مثالًا حيًّا « للتهوّر في التخيّل » ؛ وعليه لم يرضني كما انه لم يرق في عين الاساتذة المحققين الفرنسيين في معهدنا . فما كان مني الا ان تابعت التقصي . وهذه نتيجته ، ابسطها لاهل الاذواق السليمة ، وارباب الاطلاع والاختصاص .

انجع وسيلة للباحث عن اصل الكلم ان يتتبعها في مظانّ ورودها ، ويشارف تطوّر احوالها . وما اكثر مظانّ هذه اللفظة ! فقد وردت في مؤلفات جميع الذين كتبوا عن الصليبيات . ولذا ، عمدت ، قبل كل شيء ، الى « مجموعة تواريخ الصليبيات » باللغة العربية . وتناولت الفهرس الابجدي لكل مجلّد من مجلداتها الضخمة . واينما وجدت كلمة « داوية » بحثت عنها في محلها . فتحققت ، بعد هذا العمل ، ان جميع هؤلاء المؤرخين المسلمين استعملوها بصورة « داوية » او مع شيء من التحريف . اما عن اصلها ، فلا ذكر عندهم

---

١) ليت هذه النسخة الثمينة وجدت ، فلكان طلاب الحقيقة احتفزوا صاحبها لينشر بالتصوير الشمسي روائع الصفحات العديدة الواردة فيها هذه الكلمة ، لا بصورها المصحّفة ، بل بصورها الحقيقية «templiers» ذات الحروف الفرنجية !!! ولا ريب ان الذي صدّ الكاتب عن ذكرها بصورتها الاصلية خورٌ في الذاكرة عارض ، ان شاء الله .

٢) مجلة لغة العرب ، جزء ٣ ، سنة ٨ ، ص ١٢٩ .

البتة ، وخير ما صنعوا ، لانهم كفونا مؤونة التخيلات والخزعبلات الشبيهة بتخيل المذر القديم القائل بان اصل «عصفور» من « عصا وفرّ » ، والمذر الحديث المدعي بان اصل « هيكل » من « حي وجل » .

بيد ان ذلك لم يثبط مني العزم . فاكببت عندئذ على « مجموعة تواريخ الصليبيات » باللغات الفرنجية ، متبعاً النمط السابق عينه . ثم وقفت على تأريخ الرهبنة المذكورة ، ونص قانونها ، في اصله اللاتيني [1] فسافر انعام النظر عن انه كان بين تأسيسها ، سنة ١١١٨ ، وبين تثبيتها ، سنة ١١٢٨ ، مدة عشر سنوات ؛ وان اعضاءها لم يُدعَوا ، منذ البدء ، Templiers ، اي هيكليين ؛ لان الملك بقدوين الثاني لم يبهم محلًا ، قرب موقع هيكل سليمان ، الا عدة اعوام بعد نشأتهم ، وان اللقب الذي اطلق عليهم ، قبل سكناهم ، في جوار الهيكل ، كان : « *Les pauvres Cbevaliers de la sainte Cité.* » (الفرسان « الفقراء » للمدينة المقدسة) وقد بقي هذا اللقب « الفقراء » في جملة القابهم ، حتى بعد نزولهم في ناحية الهيكل ، وتسميتهم به . كل ذلك ظاهر من نص دستور رهبنتهم المذكور . اذ نجد في اوله العنوان الآتي باللغة اللاتينية : [2] « *Regula* Pauperum *Commilitonum Cbristi, templique Salomonis.* » (قانون الفرسان « الفقراء » للمسيح ولهيكل سليمان) . وهذا الآخر : [3] « *Incipit regula* Pauperum *Commilitonum sanctæ civitatis.* » (بدء قانون الفرسان « الفقراء » للمدينة المقدسة) .

وانت ترى ، في هذا العنوان الاخير ، ان لا ذكر لكلمة «*templi*» او « *templariorum* » (الهيكل او الهيكليين) . زد على ذلك اننا نجد ، في خلال هذا القانون ، ان افراد الجمعية يدعون باللاتينية « Fratres » [4] جمع «Frater» اي اخوة جمع اخ . وبهذا الاسم كان يدعى الرهبان عموماً ، في القرون

---

١) مجموعة الآباء اللاتين ، مجلد ١٦٦ ، عمود ٨٥٥ وما يليه .
٢) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٥٧ .
٣) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٥٩ .
٤) م . آ . ل . عين المجلد ع . ٨٧٠ وما يليه .

الوسطى ، كهنةً كانوا ام غير كهنة ، وقد كان وبقي حتى اليوم لقباً رسمياً للدومنيكيين والفرنسيسيين. *Frères Prêcheurs, Frères Mineurs*.

على ان هذه الفوائد ، ان لم تنمِ بمرامي في ذاك الحين ، فقد كان لها قيمة كبرى فيما بعد . لاني بينما كنت على تلك الحال ، اذ عنّ لي خاطر ، فقلت في نفسي : ان هناك ، ما عدا المؤرخين المسلمين والفرنجة ، مؤرخين شرقيين نصارى ، وهم السريان . وبين هولاء كان رجال فطاحل في العلوم الدينية والمدنية ، وقد عاصروا الصليبيين ومازجوهم ، ولا ريب انهم عرفوا هولاء الرهبان المدعوّين في الفرنجية *Templiers* ، وفي العربية « داوية » . ومن جملة هؤلاء المؤرخين السريان ثلاثة ، وضعوا مؤلفات تاريخية بلغتهم السريانية. اولهم : ميخائيل الكبير ، بطريرك اليعاقبة (١١٦٦ ١١٩٩) الذي حدث له مفاوضات للصليبيين ورؤسائهم الروحيين ، في انطاكية والقدس ، وكانت مراسلة بينه وبين البابا انوريوس الثاني . ثانيهم المؤرخ الرهاوي المجهول الاسم († ١٢٠٤) وثالثهم ابن العبري ، الذائع الصيت († ١٢٨٧)

فاقبلت على مؤلفاتهم [1] وادركت منها المواطن المنوطة بالصليبيات . وما اشدّ ما كان عجبي وسروري معاً ، حين اشرقت لانظاري انوار ساطعة تبدّد عن هذه القضية ظلمات الاوهام ، وتظهر الحقيقة باجلى بيان . فان هولاء الثلاثة يسمون الرهبان المحكي عنهم تارة باسمهم العام اي «*Frères*» واخرى يذكرون بجانبه ترجمته بالسريانية (ܐܚܐ *ahi*) اى اخوة ، ودونك شواهد منهم : الرهاوي: « ܘܠܟܠܗܘ ܐܚܐ ܘܥܢܝ » ، « ܐܚܐ ܘܒܢܝ ܥܢܝ » [2] :

---

١) ميخائيل الكبير : تأريخ ، نشر وترجمة الابيل شابو ، المجلد الرابع يحوي النص السرياني ، والمجلدات الثلاثة الاخرى تتضمن الترجمة الفرنسية .

التاريخ المدني والكنسي ، لمؤلفه الرهاوي المجهول الاسم ، نشره السيد رحماني ، البطريرك السرياني الانطاكي.

ابن العبري : تأريخ بالسريانية ، نشره الاب بيجان اللازري.

٢) الرهاوي: تاريخ ص٢٦٤: « وقبض على الاخوة « الفريز »

ص ٢٥٧: « الاخوة الذين يدعون «الفريز»

ابن العبري: « ܡܫܡܫܢܐ ܕܥܕܬܐ » « ܐܝܬ ܠܗ ܥܕܬܐ ... ܒܗ » [1]
ميخائيل الكبير : « ܠܡܫܡܫܐ ܐܝܬ ܠܗ ܥܕܬܐ ܕܥܕܬܐ » . [2] وكل ذلك مطابق لما ورد في نص القانون.

على ان ثلاثتهم يطلقون عليهم ، في مواطن مختلفة ، فضلاً عن هذا الاسم ، لقب « ܐܚܬܐ ܕܒܬܐ » او « ܒܬܐ » فقط. (اي الاخوة الفقراء ، الفقراء) :
ميخائيل الكبير: « ܥܕܬܐ ܕܥܢܝܐ ܕܒܬܐ ... ܕܫܡܗ ܚܕܝܬܐ » [3]
الرهاوي: « ܡܫܡܫܐ ܚܝܠܐ ... ܥܡ ܥܕܬܐ ܕܒܬܐ » « ܐܠܗܝܢ ܕܒܬܐ ... ܡܢ ܚܝܠܐ » [4].

ابن العبري: « ܡܫܡܫܐ ܐܝܬ ܠܗ ܒܬܐ ... ܫܡܫܢܬܐ » ، « ܐܝܬ ܠܗ ܒܬܐ ... ܫܡܫܢܬܐ » [5]

ومعلومك ان كلمة « ܒܬܐ » في السريانية جمع لكلمة « ܒܬܐ » (*Datuyya*) الآتية من فعل « ܒܬ » ومعناه : كان باناً ، فقيراً [6]

---

١) ابن العبري : تاريخ سرياني ، ص ٢٣٠ « رئيس (استاذ) « الفريزيّة » – « ܡܓܣܛܪ » من اللاتينية « *Magister* » .
ابن العبري ، ص ٢٥٤ « اخوة « فريزية » كان فيها » .

٢) ميخائيل الكبير : تاريخ ، ص ٥٠٥ « خبر الاخوة « الفرير » الفرنج »

٣) ميخائيل الكبير : تاريخ ، ص ٦٢٦ « والفرسان الفرنج « الداوية » اخذوا في الحرب » – انظر ايضاً الصفحات التالية : ٦١٢ ، ٦١٤ ، ٦٤٤

٤) الرهاوي : تاريخ ، ص ٢٥٨ « وهجم بشدة هولاء الفرنج « الداوية » ص ٢٦٠ « وطرد « الداوية » شرّ طرد »

٥) ابن العبري : تاريخ ص ٢٧٠ « وكثير من الاخوة « الداوية » والاسبتارية » ص ٢٧٤ « اما الاخوة « الداوية » او « الاسبتالية »

وقد وضع الاب بيجان اللازوي ، ناشر تاريخ ابن العبري السرياني ، حاشية في الصفحة ٢٧٢ ، ابان فيها من كان هؤلاء الرهبان ، ذاكراً مختلف اسمائهم عند السريان . فقال ما هذا تعريبه عن اصله بالسريانية الشرقية : « هم الرهبان العسكريون المحامون عن مملكة المسيحيين ، الذين كانوا يدعون « فَريزيّة » (ܦܪܝܙܝܬܐ) اي اخوة ، او « اخوة داويّة » (ܐܚܬܐ ܕܒܬܐ) وهم الميكليون (ܡܝܟܠܝܬܐ)

٦) Payne Smith, *Thesaurus Syriacus*, *T.I. c.* 829.
Brockelmann, *Lex. syr. p.* 143.

فاذن « ڤوڤر » التي تعني « الفقراء » قد سمّى بها السريان هولاء الرهبان، مترجمة عن اسمهم الاولي ، باللاتينية او الفرنجية : « *Pauvres, Pauperes* » ذاك الاسم الذي بقي عليهم دائماً ، كما رأينا من نص قانونهم .

النتيجة الواضحة ان كلمة « داوية » التي اطلقها المؤرخون المسلمون على هؤلاء الرهبان العسكريين هي تعريب « ڤوڤر » السريانية ، دون تعمّل ولا تصحيف . وقد شاعت بين النصارى الشرقيين ، فاخذوها عنهم . ومثل هذا جارٍ حتى في ايامنا هذه . فاننا نسمي الرهبان الفرنج المتخصصين لتثقيف الشبان ، تارة « فرير » ، تعريب الكلمة الفرنسية . واخرى « اخوة » المدارس المسيحية ، بطريق الترجمة . وكما ان المسلمين اليوم عرفوا هذا الاسم « فرير » من المسيحيين الوطنيين ، فلا ريب ان المسلمين ، في زمن الصليبيين ، تلقوا كلمة « الداوية » من المسيحيين الشرقيين الذين استعملوا هذا الاسم ، دون او مع بقية اسماء هولاء الرهبان ؛ لانه شاع بينهم مترجماً من الفرنجية الى السريانية ، فعرّب . وفي ايامنا هذه ايضاً يحدث مثل هذا في شأن اسماء بعض الرهبان والراهبات ، من ابناء الفرنج . فان النصارى الوطنيين يدعونهم باسماء دون او مع اسمائهم الرسمية . دونك مثلاً : *Les Réparatrices. Les Sœurs Franciscaines Missionnaires de Marie. — Les Pères Missionnaires d'Afrique. etc.*

فانهم لا يدعونهم ، بترجمة هذه الاسماء الى العربية ، بل عوضاً عنها ، او زيادة عليها ، بهذه الآتية : راهبات القربان او السجود ؛ الراهبات البيض (لثوبهن الابيض) ؛ الآباء البيض (لبياض ثوبهم) .

هذا ، وللقارئ علي حق اظهار الحقيقة العلمية كما وقفت عليها ، بعد

في هذه الصفحة من معجمه ، قد اشار بروكلمن الى ان الابيل شابو اخطأ بترجمته عبارة ميخائيل الكبير ، الواقعة في الصفحة ٦٢٦ من كتابه ، وهي « ڤڤما وبم ڤڤيما » « ڤوڤما » بما يلي بالفرنسية « *Les misérables chevaliers francs* » اي باتخاذه « ڤوڤما » بمعناها الوضعي على حين كان يجب اعتبار دلالتها الاصطلاحية ، التي يقابلها بالافرنسية لا « *misérables* » لكن « *templiers* » ، والظاهر ان الحق بيد بروكلمن ، اللهم الا اذا كان قصدُ شابو من ترجمة « ڤڤما وبم » بالعبارة « *Misérables ou pauvres chevaliers* » اعتبارها لقباً من القاب الحاشية ، وهذا معزّزاً لقول المستند الى المتوفين الموجودين في نص قانون هولاء الرهبان .

التقصي المتواصل . ولذا اقول : ان البطريرك ميخائيل الكبير كان له معرفة تامة بمنشأ هؤلاء الرهبان ، وبقوانينهم التي لخصها في تاريخه ، بنوع كثير المطابقة للاصل اللاتيني ، ان لم يكن ترجمة بحتة ، فمن باب التصرف [1] ، وقد عنون الفصل المخصص لهم كما يلي : « ... » (خبر الاخوة الفرير الفرنج) ويدعوهم في غير محل « ... » كما رأينا . الا انه ذكرهم مرة كما يأتي : « ... » وقد ترجم العبارة ناشر الكتاب الانيل شابو بما يلي : " *Or ces " pbrer " c.-à.-d. " Frères » qui s'appellent « Dawiyah " c.-à.-d." divins* " ويقول في الحاشية ... (باخط الكرشوني) *« l'ersion arabe « داوية » parait la transcription d'un mot franc.* »[2]

فالناجم من هذا ان ميخائيل الكبير — وهو على ظني ، اول من تصدى لشرح او تبيان اصل هذه اللفظة — يرى ان « داوية » تعني « الهيين » والمترجم يقول انها نقلت عن كلمة فرنجية ، دون ان يذكر اية كلمة هي ، والحال اني اطلعت على ان هناك لفظة فرنسية قديمة وهي Dive الآتية من اللاتينية Divus جمعها Divi ودلالتها : « المي ، الهيون »[3] . اجل ان في ذلك شيئاً من الاحتمال ، بيد انه — على خلاف كلمة « ... » — لم يلح له مقابل ، ولم اجد له اثراً البتة ، لا في تأريخ الرهبنة او قانونها ، ولا في تواريخ الصليبيات اذ ليس هناك من نص ، او مجرد تلميح يستدل منه ان « الهيكليين » سترا Divi « الهيين » كما انه لم يدع به غيرهم من ارباب الطرائق النسكية [4]

---

١) ميخائيل الكبير : غير الكتاب ، ص ٥٩٥ و ٥٩٦ — القس (اليوم : المطران) اسحاق الاسقفي ارمة السرياني ، الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ٥٧ وما يليها .

٢) ميخائيل الكبير : عين الكتاب (نصه السرياني) ص ٥٩٨ — شابو : ترجمته الفرنسية مجلد ٣ ، ص ٤٠٧ .

٣) Littré : *Dic. de la langue française p.* 1198 : « Dive, *adj. f.* Divine. *Vieux mot qui ne se dit plus guère que dans cette phrase de Rabelais* : « La dive bouteille. » *Etym. Lat* : Divus, *grec*, Διος, *sanscrit*, deva, *Dieu, de* div, *ciel.*

٤) اوجب بكل نص او مستند تاريخي او لغوي يصدر من قبل العلماء اهل الاختصاص

الخلاصة : الذي نتج من التقصي الدقيق ، غير المتأثر بالهوى ، هو ان كلمة « الداوية » — خلافاً لما توهمه اهل المخيلات الطوافات — ليست قطعاً بتعريب اللفظة الفرنجية Templiers . بل قد تكون تعريب لفظة Divi اللاتينية ، الفرنجية ، وهو رأي عليه صبغة الاحتمال ، لما هناك من التقارب بين الرضعين ، لكني القيه على علاته ، غير متخذ اياه قولاً شافياً ، مع احترامي لسلطة صاحبه ، ميخائيل الكبير . وبالعكس أوثر القول — استناداً لما اطلعت عليه من الحقائق ، وأتيت به من البراهين والشواهد التاريخية واللغوية — ان « داوية » تعريب « ڕُوحَا » السريانية (١)

فلاهل الاختصاص من لغويين وألسنيين ان ينظروا في القضية . فان راقت في عيونهم ، فحبذا ؛ والا فليأتوا بما لديهم من الحجج الراهنة الجديرة بتقويض اركانها ، لان الحقيقة ضالة كل باحث نزيه .

من شأنه ان يؤيد هذا القول ، قول ميخائيل الكبير .

(١) هذا ما يمكنني القول به ، بعد عناء البحث في اصل « الداوية » وليس من الغريب عندي ان يقوم بعد مدة بعض «سُود النيات» فيدعي انتحالي في ذلك قول احد المشرقين ، كما ادعى اني انتحلت ، في تأصيل « الحواريين » (المشرق ؛ العددان ٨ و٩ (آب وايلول ١٩٢٩) ص ٥٧٥ وما يليها) رأي نولدكي ، كانه يستحيل ، بذهن البشر ، ان يقف رجلان باحثان على حقيقة من الحقائق ، كل واحد من جهته . واما الواقع فهو اني ما عرفت ان « الحواري » آتية من الحبشية الا حين كنت ادرس هذه اللغة ؛ وكان يلدي ، كبيذوس ، كتاب العهد الجديد ؛ وفي عنوانه ، كما في نصه ، اسم الرسل Hawāriyāt ، فكأن ذلك الذي نبني الى تقصي اصلها . هذا ، ولم اقل ، متبجحاً تبجح امام الاغة : « انا وحدي ، ولا غيري ، وقفت على اصلها » بل قلت بصيغة الجمع : « اما اليوم ، فبفضل المقابلة الالسنة السامية . . . قد « عرفنا » ان الحواريين لا عربية ، ولا سريانية ، بل حبشية » ، كما لو قال احد الكتاب ، في غير باب : « اما اليوم ، فبفضل علم الفلك الحديث ، قد عرفنا (اي نحن اهل هذا العصر) ان الشمس ثابتة والارض دائرة » . وان كان نولدكي صاحب هذا الرأي ، فيطيب لي ، لا بل لي الشرف ان يكون بيني وبينه اتفاق الحواطر كي يقع الحافر على الحافر ، وذلك اولى من ان اعذر هذر امام اغة البادية . وان كان نولدكي ارتأى ان « الحواري » من الحبشية ، فهل هو الذي اثبت ايضاً انها ليست من Héwāré السريانية ؟ وهل هو الذي سفه خزعبلات المستشرقين القدماء ، وترهات ما شحنوا به احاديثهم ؟ لكن . . . هو الهوى يعمي ويصم !!!